جماليات المكان القرآني في قصة يونس – عليه السلام-

د/نجلاء علي مشعل

كلية الآداب – كفر الشيخ- مصر

المكان في بداية القص يجعل له "مرتكزه اللازم. وفي ذلك تتجلى حاجة السرد إلى المكان، إن المكان نتاج للسرد، كما يسهم بدوره في خلق السرد" (١)، ولهذا يعمد السرد التخيلي رسم فضاءاته بوضوح ليبث الإيهام بالواقعية والإيحاء بتحقيق التخييل ، لكن السرد القرآني جاء مغايرا لهذا النهج مشكلا خصوصية لتلك الفضاءات الحقيقية التي لا تحتاج ما يحتاج إليه التخيلي من محاولات إثبات الصدق والصحة، فالمبئر في الفضاء القرآني هو رسم إحداثياته التي تتعالق ودلالة الموضوعة المرتبطة بغرض القصة المعروضة بل بغرض الصورة الكلي أحياناً؛ ومن ثم فإن العَلَم المكاني لا يوجد في السرد القرآني خاصة والنص القرآني إجمالا إلا مرتبطاً بغرض القصة "ادخلوا مصر"(٢)، "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً"(٣) ، " و" ناديناه من جانب الطور"(٤) ، و في قصة يونس أبهم التحديد العَلَمِّي للأماكن، ليبحث عنه في المرجع التاريخي؛ ذلك أنه ليس في الغرض على مستوى السياق الخاص/ قصة يونس، أو السياق العام/ في السور المختلفة التي تواترت فيها القصة ما يوجب تحديد اسم المكان ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ فحدد الحالين في المكان دونه؛ و الغرض اقتضى تجديد الثقة بالإرسال إلى مثل هذا العدد، وفي الموضع الأساسي (الصافات) لم يتطرق للوسم العَلَمِّي للمكان لما يتطلبه الغرض السياقي للسورة من عرض مواقف المرسلين مع أقوامهم من الاستجابة أو الرفض فليس ثمة أهمية لاسم المكان العلم وقد شرف أهله بنسبتهم إلى نبيهم للتعرف به "قوم يونس"، بل إن التعمية العَلَمِيّة للمكان أدخل في الغرض لما تحققه من معنى أنها قرية كسائر القرى ، فكان جديراً بسواهم الإيمان، والقرية هي "نينوى" على نهر دجلة كما يشير المرجع التاريخي.

أما عن إحداثيات المكان السردي في الحكاية فجاءت متعددة فاعلة في الحكي، فقد يتعاظم المكان في بعض القص ليصبح بطلا من أبطالها، وإذا كان هذا ممكنا في السرد التخيلي فلك أن تتخيل دوره في السرد القرآني، ففي قصة يونس- عليه السلام- يكاد المكان

---

(١) شارل كريفل وآخرون، الفضاء الروائي، ت عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ٧٤.

(٢) يوسف : ٩٩.

(٣) آل عمران : ٩٦.

(٤) مريم : ٥٢.

يمثل عاملاً حقيقياً بتعبير "جريماس"(٥)، فله برنامج محدد إن استقصى كان صالحا لإدراجه وتوضيحه، فالبطل المعيق مثله أكثر من عامل فضلاً عن كونه مكانا باعتباره فضاء حاوياً لجسد النبي البطل، ومثله مكان الاحتجاز كبطن الحوت، ويمكن أن يضاف إلى ذلك العراء كمكان متسع خال من عوامل الحماية والأمن، كما أن اليقطين كأحد مفردات المكان يعد عاملاً مساعدا على النجاة، برنامجه يتمثل في شفاء جروح النبي جراء المكث في بطن الحوت ودفع الحشرات عنه، وهذا التنازع للعلامة الواحدة بين مكونين سرديين (العوامل والمكان) سمة قرآنية إعجازية يقتضيها الإيجاز والإعجاز، كما أنها تؤذن بدخول المكان أو تداخله في السرد القرآني بين شقي الحكاية والخطاب.

والمكان القرآني يمكن تقسيمه باعتبار طبيعته ومرجعه إلى:-

١-أماكن غيبية لا مرجع لها كالجنة والنار والبرزخ.

٢-أماكن واقعية ذات مرجعية (جغرافية- تاريخية) كمكة والمدينة و نينوى.

٣-أماكن عجائبية وهي مرتبطة بالمعجزات والسرد العجائبي الذي يخرق السنن المنطقي الطبيعي لحقيقة الأشياء فيما وضعت له.

وفي قصة يونس برز النوعان الأخيران وإن غلب الثاني وأشياؤه، وهو ما يساوق طبيعة الحكاية في عرضها لخرق نواميس الأشياء فيما يحقق معجزات متتالية لتُوقِع عقابا إلهيا أو ترفعه، فالحوت يلتقم مأموراً ويلفظ دون أن يمس جسد "يونس عليه السلام" مخالفاً طبيعته الفطرية، واليقطين ينبت فورا و يعلو عن سطح الأرض مغايرا أصل و طبيعة وجوده.

إن تحليل المكان" سيسمح لنا بالقبض على الدلالة الشاملة للعمل في كليته والقراءة الكفيلة بالكشف عن دلالة الفضاء الروائي ستبني على إقامة مجموعة من التقاطبات المكانية"(٦).

ومفهوم التقاطب أثاره (يوري لوتمان) ويعنى به أن الأماكن تأتي في شكل ثنائيات ضدية تجمع بين أشياء متعارضة تنقل العلاقات التي تحدث بين الفواعل وأفعالها من اتصال أو انفصال(٧)؛ وذلك باعتبار أن "مفهوم المكان يشير في السرد إلى الإحداثيات الجغرافية التي تتراءى فيها الشخصيات وتجري فيها الأحداث، فالتباين أو التشاكل بين هذه الأماكن يسلط

---

(٥) ينظر أ.ج. جريماس، ت سعيد بنكراد، من كتاب طرائق تحليل السرد، ١٨٥، و ينظر محمد ناصر العجيمي، في الخطاب السردي " نظرية جريماس"، ٤٠،٤٣.

(٦) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،٣٣.

(٧) ينظر "مشكلة المكان الفني" يوري لوتمان وآخرون، ت سيزا قاسم، جماليات المكان، عيون، الدار البيضاء، ط١٩٨٨،٢، ٦٣، وينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ٣٣،٣٤.

إضاءات واضحة على دلالة الحكاية بل قد يجليها تماما"(٨).

وهذا المفهوم يتوافق مع السيميائية في انطلاقها عموماً من مفهوم المتصل والمنفصل والتشاكل والتباين فتتوفر السيميائية على هدف أساسي في مسعاها تتمثل في المبدأ الذي بمقتضاه لا يمكن الوصول إلى المعنى إلا من خلال الاختلافات في مستوى التعبير كما في مستوى المحتوى، التي لا يمكن إدراكها باعتبارها كذلك إلا وفق خلفية من التشابه (٩) ، وبهذا المفهوم يمكننا أن نقسم نوعي المكان (المرجعي– العجائبي) إلى أماكن آمنة وأماكن مخوفة. وهاك ترتيب الأفعال تبعاً لتواتر نوعي المكان :

م	وحدات الأفعال	نوع التقاطب	نوع المكان
١	وحدات الإباق	مكان آمن/اليابسة (نينوى)	مرجعي تاريخي
٢	وحدات المساهمة	مكان مخوف/السفينة	مرجعي
٣	وحدات الالتقام	مكان مخوف/بطن الحوت	عجائبي
٤	وحدات النبذ على اليابسة	مكان مخوف/العراء	مرجعي
٥	إنبات اليقطين	مكان آمن/ اليابسة بعد نمو اليقطين	عجائبي
٦	الإرسال إلى قومه	مكان آمن/اليابسة(نينوى)	مرجعي تاريخي
٧			

فتَشَاكَل نوعا المكان في بداية السرد ونهايته مكوناً نسقاً دائرياً بدأ بالمكان الآمن و به انتهى، فتحققت دائرية المكان بما يناسب تراتب المتواليات، ويمكن تمثيل ذلك بالترسيمة التالية:

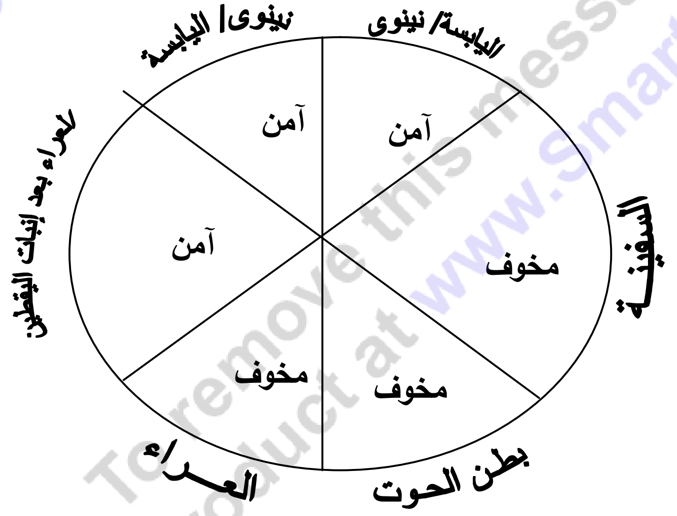

---

(٨) Mieke Bal , Narratology Introduction to The Theory Of Narrative,١٣٣

(٩) ينظر عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ٢٢، و ينظر دانيال تشاندلر ، معجم المصطلحات الاساسية في علم العلامات(السيموطيقا) ، ت شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون، دراسات نقدية١٩،٢٦،٢٠٠٢،٣ .

فقد تساوت أماكن الأمن والخوف في عددها وتساوقها مع أفعالها، وقد تشاكلت أماكن الأمن فكلها تمثل أرض اليابسة (نينوى) ذات المرجع التاريخي، وذلك يمثل صفة الثبات والاستقرار، يقابلها أماكن الخوف التي تغايرت بين السفينة وبطن الحوت والعراء، وكلها مع تباينها يجمعها تشاكل عدم الثبات؛ فـ(الفلك) متحرك في دال البحر الرامز للخطر بطبيعته، و(بطن الحوت) فضاء عجيب غير قار، كائن ماثل في فضاء مثله؛ فهو فضاء خطر في فضاء يماثله خطراً وحركة واضطراباً، أما (العراء) فهو على ثباته شديد الفزع لعدم الأنس وازدياد احتمالية الخطر؛ فالمكان المتسع " يرتبط بالفقر والبرودة وهو مكان يوحي بذوبان الكيان وتلاشيه، فالإنسان يتيه فيه ويفقد نفسه "(١٠).

فالتقاطبات تمثلت في ثنائيات مختلفة باعتبارات عدة مشكلة مجموعة من التباينات والتشاكلات أبرزها باعتبار طبيعته فيقسم إلى الأمن والخوف، وباعتبار التناهي والمحدودية محدود ولا محدود ، و بمفهوم الإحكام إلى المغلق والمفتوح ، والإضاءة إلى المظلم و المضيء ، والحركة ثابت ومتحرك ، والاتصال الخارج والداخل، وهذه التقاطبات على تعددها " لا ينفي بعضها البعض ، وإنما تتكامل فيما بينها لكي تقدم لنا المفاهيم العامة التي تساعدنا على فهم كيفية تنظيم واشتغال المادة المكانية في النوع الحكائي"(١١) ويندمج في الأول ما أسماه (لوتمان) بالحد باعتباره" لا يشكل كلاً متناغماً متجانساً متسقاً، ولكنه ينقسم إلى أحياز تفصل بينها حدود، وكثيراً ما يكون النص منقسماً إلى شقين"(١٢).

فمكان الأمن يشكل اليابسة والبقاء في نينوى، والخوف يشكل البحر وما يتصل به، وهو في حقيقته مرتبط بمفهوم الاتصال والانفصال في السيميائية السردية، وبذلك الفهم يرتبط المكان عبر تقاطب الأمن والخوف بالبرامج السردية، فيونس _ عليه السلام_العامل / ذات الفعل في اتصاله بموضوعه/ متابعة الرسالة يكون على اليابسة في نينوى وهو يمثل مكان الأمن، وفي انفصاله عن موضوعه/ الرسالة يتراءى المكان غير الآمن في البحر أو العراء، أما عن الحد فيمثل الفاصل بين اليابسة والماء حداً فاصلاً بين المسموح به للنبي/ البطل والممنوع عنه ، وهو ما يرتبط بالغرض الخاص في القصة في موضوعة الرئيس في عرض قصة نبي وأبرز ما فيها من مخالفة بترك الدعوة إلى الرسالة السماوية دون الإذن الإلهي،

---

(١٠) يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ٦٣.

(١١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ٣٦.

(١٢) يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ٦٦.

وذلك ما يوافق الغرض العام للسورة / الصافات وهو التوحيد فبعد القسم قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ و هو بدوره يتماشى وغرض النص القرآني كله الذي مداره على التوحيد.

والمحدود واللا محدود بتعبير(لوتمان) أو المتناهي واللا متناهي أو ضيق و متسع فيمثل الأول في السرد البحر والعراء ، ويتمثل الثاني في السفينة وبطن الحوت، والمكان المتناهي يشعر بالراحة أو الوحشة لفرط شساعته ، والمحدود يشعر بالأمن والحميمة أو الضيق الشديد، والأماكن الأربع باعتبارها أماكن خوف قد رشحت الدلالات السلبية من الوحشة والضيق معاً؛ لذا قال تعالى: "وهو مكظوم"، "ونجيناه من الغم"، تقاطب المغلق والمفتوح.

وقدمت نظرية السرد تصورات مختلفة لموضوع التعارض بين الفضاء المغلق والمفتوح باعتبار الأول حميماً وحامياً ومطمئناً، وأحياناً ضاغطاً والثاني عكسه(١٣) ، لكن السرد القرآني كسر نمطية هذا التنظير ليجمع بين المتناقضين مسوياً بينهما في عكس دلالة واحدة:

مغلق/ مفتوح + مخالفة أمر الله = لا أمن.

وثنائية ثابت ومتحرك تمثل الأولى فيها اليابسة والثانية كل أماكن الخوف، والجدول التالي يمثل الثنائيات التي لها دورها في الدلالة الكلية للسرد المرتبطة بالضرورة بغرضه الديني:

المكان	متسع/ضيق	محدود/لا محدود	مفتوح/مغلق	ثابت/متحرك	آمن/مخوف
نينوى	متسع	محدود	مفتوح	ثابت	آمن
السفينة	ضيق	محدود	مغلق	متحرك	مخوف
البحر	متسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	مخوف
الحوت	ضيق	محدود	مغلق	متحرك	مخوف
العراء	متسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	مخوف
العراء بعد إنبات	متسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	آمن

---

(١٣) ينظر ميشيل ريمون، وآخرون، الفضاء الروائي، ت عبد الرحيم حزل، ٥٩، ٦٢

اليقطين					

فبالمراجعة تمثل أماكن الخوف ضعف أماكن الأمن وهو ما يتساوى وغرض السرد في أكثر مواضعه في التحذير من مخالفة مماثلة للتعارض مع مبدأ التوحيد الموجب للانصياع التام "فلا تكن كصاحب الحوت" ، و كذا أماكن الاتساع الى الضيق و الإغلاق إلى الانفتاح ولها الدلالة نفسها ، بينما تساوت صفات التناهي والحركة مع ضدها فيما يتعلق بأماكن الخوف، فتقابلت كل منها ثلاثة ثلاثة؛ مما يؤذن بتساوي نوعية الأماكن في حالة الخوف والابتلاء، فلا فارق بين ثابت و متحرك ومحدود ولا محدود ما دامت الذات الإلهية قضت بالرد على المخالفة /الإباق.

أما عن التحرك والثبات فرجح الأول فيما يتعلق بالمكان المخوف مناسباً لحالة الخوف في عدم القرار وقلق النفس واضطرابها، أما الأمن فناسب الثبات المعادل للاستقرار، بينما تساوت سائر الصفات فيما يتعلق بمكان الخوف، والجدول التالي يمثل الصفات المكانية في تعلقها بمكان الخوف:

الصفة	متسع	ضيق	محدود	لامحدود	مفتوح	مغلق	ثابت	متحرك
عدد المرات	٤	٢	٣	٣	٤	٢	٣	٣

ـ أنواع المكان في السرد:

أ- **أماكن الخوف**: وتتمثل في الفلك وبطن الحوت والعراء.

١ـ **الفلك المشحون**: تختلف السفينة عن الفلك، ولذلك بالضرورة دوره في زيادة حدة الدرامية في الأحداث المتلاحقة عبر الفاء التعقيبية، ومما يزكي هذا الدرامية وصف الفلك بالمشحون، وكذا العدول عن السفينة إلى الفلك، "والفلك المشحون السفينة الموقرة الممتلئة"[١٤]، و هو "ما عظم من السفن في مقاربة القارب ... ولعظم الفلك تجدها تذكر في مواضع توقيرها وملئها بالمركب والمتاع"[١٥] ، و وصف الفلك بهذه الصفة موائم ومؤكد لمفهوم الفلك المفارق للسفينة، فـ" لفظ الفلك يأتي كثيراً في القرآن مع الإشارة إلى جريانها في البحر وشقها الريح "[١٦] .

---

[١٤] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ١ /٢٥.

[١٥] محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني،١٢٥.

[١٦] السابق ،١٢٥،١٢٦.

أما السفينة فقد وردت "مقرونة بالنجاة... فكان في ذكر السفينة إيحاء بأنها تجهزت لإرفاء"(١٧)، و يعد تحديد الفلك دون السفينة في السرد هنا استشراقاً حدَثِيًّا محملاً بشحنة درامية، فالعامل المساعد/السفينة التي لجأ إليها النبي البطل عظيمة الحجم مليئة بالركب والمتاع مما يجعله استباقا متوقعاً حدوث الخطر.

٢- الحوت:

أحد الأماكن المخوفة الغامضة التي يتنازعها أكثر من مكون سردي، فهو فضاء شديد التميز والعجائبية، وعامل ضد في الوقت نفسه، وهى خصوصية للسرد القرآني سبق الإشارة إليها في دفع مكونات السرد إلى التلاحم بين شقي القصة والخطاب مكونة صعوبة شديدة في فصل تلك العناصر حال مقاربتها.

والحوت/النون علمان مترادفان للفضاء ذاته، الأول لازم مواضع اللوم كما في سورتي الصافات والقلم، والثاني جاء في موضع الثناء /سورة الأنبياء، وهو مكان عجائبي يتسم بالضيق والإظلام وعدم الثبات والتناهي/ المحدودية والخوف، يتموضع في فضاء ضد/ البحر متشاكلاً ومتباينا مع بعض خصائصه، إذ البحر متسع، مظلم، متحرك، غير محدود، مخوف، فيتباين المكانان في الضيق والاتساع والتناهي واللا تناهي، ويتشاكلان في الخوف والإظلام وعدم الثبات، مما يمثل ارتفاع درامية الحدث ووصول التوتر الناشئ عن تداخل المكانين مداه . فيونس-عليه السلام- قار في مكان مظلم كائن في بحر مظلم وليل مثلهما مما يزيد من حدة خوفه واغتمامه "فنادي في الظلمات" فهو إذن في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، والبحر، وبطن الحوت،(١٨) هو في ضيق محدود داخل متسع لا محدود. و الجدول التالي يبين أوجه التشاكل والتباين بين المكانين:

الحـــــوت	البحـــــــر
ضيق	متسع
حي	غير حي
مظلم	مظلم
متحرك	متحرك
متناه/ محدود	لا متناه/ لا محدود
مخوف	مخوف

---

(١٧) السابق نفسه.

(١٨) ينظر الألوسي، روح المعاني،٩/108.

خارج اليابسة	خارج اليابسة

فيتشاكلان في أربع ويتغايران في ثلاث ، فعلى الرغم من سيطرة التشاكل والتغاير الفضائي يظل الخوف ساريا مادامت إرادة الله اقتضت ذلك.

واستبدل السرد (بطن الحوت) بـ (جوفه) إشارة الى استحضار صورة الوليد في بطن أمه وما تثيره من الضعف الشديد والحاجة للعون ، وحينئذ يستتبعه أن تكون النجاة من مثله ميلادا جديدا للنبي/ البطل، ينمي ذلك الفهم أن مادة (ب– ط – ن) لم ترد إجمالا في القرآن الكريم إلا فيما يتصل بالجنين في رحم أمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) ﴾(١٩)، ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾(٢٠)، ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦) ﴾(٢١)، ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢) ﴾(٢٢)، ويرشح هذه الدلالة آية (الزمر) و مدارها خلق الجنين في رحم أمه و كينونته في ظلمات ثلاث تشاكل ظلمات يونس، وكذا انتهاء الآية بالتوحيد الذي هو مدار قصتنا والغرض العام للموضع الرئيس ؛ ولعل هذا التشاكل الذي دفع البعض تفسير " وهو سقيم" بأنه" كان كالطفل المنفوش بضعة لحم"(٢٣) ، " إنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد"(٢٤) .

وبتتبع تلك الأماكن المخوفة وصفاتها نجد هناك تشاكلاً وسيمترية في الانتقال من الأماكن المتباينة ، فالبطل يحول من الآمن إلى المخوف ثم الأكثر خوفاً فالمخوف فالآمن، فانتقل من السفينة الضخمة غير الثابتة إلى البحر الأكثر اتساعاً وأشد في عدم الثبات، ليغدوا في بطن الحوت شديد الحركية، ثم إلى الأرض الثابتة الشاسعة؛ ومن ثم فإن التشكيل المكاني أو " الفضاء يحدد نوعية الفعل، وليس مجرد إطار فارغ تصب فيه التجارب الإنسانية" (٢٥)،

---

(١٩) آل عمران: ٣٥.

(٢٠) النحل: ٧٨.

(٢١) الزمر: ٦.

(٢٢) النجم: ٣٢.

(٢٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/٤٨٦.

(٢٤) الألوسي ، روح المعاني، ١٢/١٨٨.

(٢٥) سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، منشورات الزمن، الرباط، ٢٠٠١، ١٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقد جاء في السرد هنا معبراً بدقة عن الأفعال، فالالتقام أشد ما يكون عنفاً لأنه يظل معه حياً جاء في حيز ضيق شديد الظلمة، والنبذ شديد القسوة جاء بفضاء عار تماماً متسع موحش شديد الإضاءة؛ فانتقل من الضد إلى الضد مع الخوف والألم في كل.

٣- العـراء:

العراء الفضاء المتسع " أي المكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت"(٢٦)، وهو المكان الضد لبطن الحوت في كل سماته، وتأتي المصاحبة اللفظية في إيقاع "العراء" من خلال المد اللازم لتحقق خصوصية السرد القرآني المنطوق مزيداً من اتساع العراء عبر مد الصوت بالحركات الزائدة و بالتالي إحساس البطل بالخوف من هذا الاتساع، كما أن الباء الجارة تعمق هذا المعنى فالباء إما أن تكون للإلصاق و هو أصل معانيها أو أن تكون للظرفية و هو كثير في الكلام(٢٧) .

٤- العراء مع إنبات اليقطين:

يتحول المكان من الخوف إلى الأمن والعجائبية مع فعل "أنبت" الدال على التعدي والجعل فكأنه أُمِر فاستجاب، وكذا الإنبات الفوري على ما مر، ومغايرة طبيعة هذا النبات يقول الزمخشرى " أنبتناها فوقه مظلة له؛ كما يطنب البيت على الإنسان "(٢٨) وهو ما ذهب إليه بعده الألوسي(٢٩)، فيكون قوله "شجرة" تجاوزاً خارقاً للعادة ليناسب الإنبات اللحظي الذي يماثله؛ لأن اليقطين لا ساق له، والشجرة في أصل اللغة لما له ساق وعود(٣٠) ، وهو بذلك مساوق لخرق الالتقام ثم النبذ حياً للعادة، يغزز ذلك الجار "على" الذي يفيد الاستعلاء الحسي.

---

(٢٦) الألوسي ، روح المعاني، ١٨٧/١٢ .

(٢٧) ينظر ابن القاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ت فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢ ، ٣٦،٤٠ .

(٢٨) الزمخشري، الكشاف ، ٤/ ٦٤.

(٢٩) الألوسي، روح المعاني ، ١٨٨،١٨٩/٢٣.

(٣٠) ينظر : ابن عطية، المحرر الوجيز،٤٨٧/٤.